ان پستور احق من سواه بان يُمدّ فريد عصره لخدمته للانسانيّة . ولما احتفل مكتب پستور في ١٥ ت ٢ من السنة المنتهية بالعرس الفضي للمكتب المذكور تواردت مراسيم التهاني على اصحابه مشيدين بذكر پستور وتلميذه الدكتور رو (Dr Roux) مكتشف ميكروب الدفتريا والمصل الشافي منها . وقد عدّد الدكتور المذكور محامد پستور في بعض تلك الحفلات تصدّرها الرئيس پوانكاره ووصف نتائج اكتشافاته في كل انحاء المعمور . على اننا نحن نضيف الى تعظيم ذاك العالم العلّامة تعظيمنا للمسيحي المحض الذي لم يخجل بان ينتسب صليب المصلوب في مختبره الكيموي وجعل سيرة حياته موافقة لمعتقده بذاك الاله الذي اعلن بنعمه الساطعة على كافّة المعمور المسيو رينه بازن (M' René Bazin) في معهد الاكاديمية الفرنسويّة مقدّماً اهّ تحيّاته الخاصة مقرونة بتحيّات الملايين من الاحياء والمليارات من الموتى لاسمه المجد الى دهر الدهور

رحلة

مُحَمَّد سَعِيد بَاشَا إِلى بَارِيس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مواجهة السفير ملك فرنسة

وبعد يومين من دخولنا اتى الى عندي مُدخل القصّاد وقال لي : ان حضرة السلطان يريد ان يراك يوم الجمعة وانهُ عيّنني لكي آخذك الى عنده لكي يراك وانا وانت ومربّي السلطان (١ فمضي ثلاثتنا سواء مثل دخولنا الاوّل في العراضة الاولى

---

١) يريد بمربّي السلطان وليّ امره وكان اذ ذاك ابن اخي لويس الرابع مشر فيليب الثاني دوق دي اورليان الذي اشتهر بحروبه ودبّر الدولة سبع سنوات في مدّة صغر لويس الخامس عشر . كان مولدهُ سنة ١٦٧٥ وتوفي في ٢ ك ١ سنة ١٧٢٣

ثم انهُ حقَّق لي انهُ قبل الآن لم يتعين لاجل القصَّاد قائد عسكر سوى ذاك فقط وان هذه المراضة تكون احسن من الاولى باوفر تمام واكثر عزّ من تلك. ثم قال لي ايضاً: « ان الخط الشريف الذي جئتَ به تقدمهُ ويقرأهُ وهو مزمع ان يردَّ جوابهُ واذا رأيت حضرة السلطان فانك تراهُ واقفاً فلا تتوهَّم ولا يكن عندك خوف لانهُ عتيد ان يظهر انك كل محبة »

وبعد ان اعلمني بهذا الامر رجع الى مكانه فصبرنا الى يوم الجمعة (٢١ آذار سنة ١٧٢١) واذا بالشيخ ديلنبس (١ وهو رأس قائد العسكر مع مدخل القصاد المذكور قدما الى عندي الى السراية واتباعهما وناس كثيرون اصطفُّوا صفوفاً كما يوم دخولنا في البدو الى باريس ما خلا انهم بغير سلاح وكانوا بثلابس فاخرة جدًّا. فكلَّفوني الى المضي فاحضروا لنا خيلًا الى ابني ولي من خيل الملك بعُدَد مجوهرة ذهبيَّة

فركبنا واصطفَّ الآلاي امامنا وحولنا شيء عظيم جدًّا وابني بما انهُ كان عندي ديوان افنديسي (٢ كان حاملًا الخط الشريف على يديهِ كمثل العادة وراكباً فرساً لائقة وكان لجام الفرس مثقَّلًا بالذهب والجواهر الثمينة شيء غير موصوف. وبعدهُ مشيتُ انا بعد ابني وكنتُ لابساً عمامة الديوان اعني قلاوية (٣ الوزارة ومبترشحاً بفرجية بفرو سمور (٤ غالي كثير الثمن وكنت راكباً حصاناً بقاشة (٥ طويلة مثل كسوة خيلنا وكان بجانبي حضرة الشيخ ديلنبس على اليمين ومدخل القصاد عن شمالي

وقد كانوا ارسلوا الى الاماكن التي فيها عساكر مشتَّتة ليأتوا لاجل الآلاي فاتى

---

١) هذا الاسم مصحَّف وهو المعروف بالامير دي لمبسك (prince de Lambesc) كبير قوَّاد الجيوش في ذاك الوقت

٢) ديوان افنديسي اي ناظر الديوان والحاجب

٣) كذا في الاصل وظنَّ انهُ اراد القاووسيَّة اي القلنسوة

٤) الفَرَجيَّة ويقال لها المنفرجة رداء واسع من الجوخ باكمام يُلبس فوق الثياب. والسمُّور حيوان ذو فرو ناعم (martre-zibeline)

٥) القاشة من القاظ العامَّة معناها قَنَّز الدابَّة اي السُّنُب الذي في مؤخَّر السَّرْج

من العسكر شيء كثير زلام مع خيالة أنوف من ثلاثين الفاً لابسين ثياباً جديدة مكلفة ومصطفين من باب السراية المعيَّنة لنا الى باب سراية السلطان ونحن بينهم. واخذونا من طريق مدخل السراية اعني طريق البساتين وهو بستان السلطان فدخلنا من الباب الذي منهُ البستان فعند دخولنا الى باب البستان رأينا فرقتين من الخيالة واقفتين هناك يميناً وشمالاً فرقة تُدعى الخيالة الشهباء وفرقة تدعى الخيالة السوداء لان الفرقة الاولى خيلها شُهب والفرقة الثانية خيلها سود وهاتان الفرقتان معتبرتان غاية الاعتبار في مملكة فرنسة بين العسكر لانهما تتركبان من انفار كثيرين من الشرفاء والاعيان وهم في غاية الزينة الجميلة

فلمَّا عبرنا بينهم سلَّموا علينا سلاماً معتبراً ودخلنا الى ان انتهينا الى سلالم باب السراية وهناك نزلنا عن ظهور الخيل. فاخذونا الى مكان لكي نأخذ راحة وهو المكان المختص بتعليم تربية السلطان. فبعد أن مكثنا قليلاً ذهبوا بنا الى مكان آخر أعلى من ذلك المكان. وفي كل خطوة كنَّا نرى اناساً من رجال الدولة المعتبرين جداً يأتون الى استقبالنا. وبهذه الصفة بلغنا الى باب الديوان وشاهدنا هناك خلقاً كثيراً بهذا المقدار حتى ان الذين كانوا سابقينا والمحيطين بنا كان يعسر عليهم جداً ان يدخلوا ويدخلونا بينهم وبالكاد العظيم وصلتُ الى باب الديوان مع اثني عشر رجلاً من اتباعي فقط

فدخلنا الى مكان شبه ديوانخانة يا لهما من ديوانخانة وكان هناك مصفوف من الكراسي ما اعلم كم مئة مصفوفين بترتيب عجيب متساوٍ الى حدّ عرش السلطان كأنهُ مكان العرش في بلادنا. وكان جالساً على هذه الكراسي جميعها اشرف نساء الدولة الستّات (السيدات) ومن اهالي السلطان نساء ورجال بثياب فاخرة مرصَّعة بالجواهر الثمينة والملك جالس في صدر ذلك المكان في مكان عالٍ وعليهِ من الجواهر شيء لا يوصف ولا يكيَّف بقلم ولا بلسان.

فعند دخولنا نهض جميع من كان على الكراسي قائمين والسلطان ايضاً لمَّا دنونا منهُ نهض قائماً فعملتُ لهُ التعظي اللائق لهُ وتناولتُ الخطَّ الملوكي وبعد ان وضعتُ يدي على صدري مختضعاً لهُ تقدَّمت الى جانب السلطان ورفعت يدي على رأسي بصفة متوسّل ثم كلَّمت السلطان بهذه الالفاظ قائلاً: «هوذا الخط الشريف من

صاحب العز العظيم والقدرة بادشاه (١ الاسلام ولي نعمتي افندم سلطانم صاحب الشوكة احمد خان ابن السلطان محمد خان »

وبما ان السلطان كان صغير السنّ جدًّا (٢ تقدّم الوزير الاول واخذ المكتوب من يدي ووضعهُ على كرسي صغير كان هناك بجانب عرش الملك ملبَّسًا بثوب كسر (اي قصب) قطع جواهر . ثم انني تناولت مكتوب الوزير الاعظم صاحب الدولة وقدَّمتهُ الى السلطان قائلًا : « هوذا مكتوب صاحب الدولة والسعادة الوزير الاعظم ابرهيم صهر السلطان المحترم » . فاخذ الوزير المذكور ايضًا المكتوب ووضعهُ تحت الخط الشريف

وبعد ان قدمت المكتوبين الى السلطان قلت لهُ : « ان استاذي السلطان ارسلني اليك قاصدًا لاجل نموّ المحبة وازديادها ولاجل عقد الصحبة والمودَّة التديمة بين الملكين ولكي يظهر اعتبار الدول بالرضا الخصوصيَّة التي اكنهم نحونا ونا نحوهم وكم من المحبة لحضرة سلطان فرنسا العالي الشان عند حضرة سلطاننا المحفوظ فلاجل ازدياد هذه المحبة ونموها ارسلني الى حضرتك قاصدًا »

وبما ان السلطان صغير السن كما تقدّمنا فقالنا لانهُ كان ذلك الوقت ابن احدى عشر سنة داخلًا في الاثني عشرة سنة . كان جمالهُ وحسنهُ يفوق الوصف وكان ثوبهُ الذي كان لابسهُ من كثرة الالماس والجواهر يمتدّ شعاع نورهِ في كل الديوانخانة اشدَّ ساطعة هل قدر حتى ما كان يقدر احد ان يملك منهُ النظر من جميع جوانبه

فلما اكملت كلامي هذا لم يردّ عليَّ السلطان جوابًا ابدًا بل القائد منسور دي بيدروي (٣ مدير السلطان كلمني عنهُ قائلًا : « ان السلطان قبل ورضي من مكتوب بادشاه الاسلام ومن انتخابك انت الى هذه الرسالة . ولو أتى غيرك في هذه الرسالة ما كان حضرة السلطان ينسرّ هلقدر (بهذا القدر) . وحضرة سلطاننا ايضًا يريد

---

١) كلمة فارسيَّة الاصل معناها سيّد الملوك ورأس السلاطين

٢) كان عمر لويس الخامس عشر اذ ذاك احدى عشرة سنة

٣) هذا الاسم مصحَّف لعلَّهُ يريد رئيس اساقفة كمبراي المسمَّى دوبوا (G. Dubois) وكان احد كبار الوزراء (+ ١٧٢٣) . اما مدبّر الدولة فكان كما قلنا الدوق فيليب دي اورليان .

المحبة تدوم وتكثر بين الملكين دائماً ». حينئذٍ شكرت فخامته واعتنائه على ما قدّموا لي من الواجب والاكرام في الطريق وهُنا

ثم اني رجعت ووضعت يدي على راسي واستأذنت منهُ بالرجوع وبعد كم خطوة ايضاً وضعتُ يدي على صدري وتودّعت منهُ ونزلنا في السلّم وركبنا الخيل ومثل مجيئنا هكذا كان رجوعنا بين الوف الناس والعساكر الى ان انتهينا الى محلّنا (١

استقبال الدوق دي اورليان للسفير العثماني

وكان ذلك اليوم يوم النوروز نهار جمعة فعند دخولنا الى محلّنا ارسل مدير الملك واحداً من اتباع المدخل وعرض عليَّ ان افندّيهُ يكلّفني لكي في الغد اذهب الى عنده حتى يراني واراه وفي الصباح تاتي العربانة لكي نذهب عنده . وبعد هذا مضى

ففي ثاني يوم ركبت حصاناً من خيلي بعدّة مكلّفة واتباعي ركبوا ايضاً خيلاً بعُدَد وثياب جديدة مكلّفة وسرنا ولم ارد اركب العربانة لان اكثر الشعب كان يريد ان يرانا على ظهور الخيل لكي يروا خيلنا ولبسنا وزيّنا فلاجل هذا السبب لم أُرد اركب العربانة . والسبب الثاني لكي نتفرّج على زيّهم وبلادهم . فركبتُ ومشيت صحبة اتباعي الى سراية المدير فنزلنا عن ظهور خيلنا ودخلنا الى السراية فأدخلونا الى جملة اوض لاجل الفرجة فرأينا كل اوضة على شكل من دهونات ونقوشات وفرش مفتخر من فضة وذهب وقطع غاليات الثمن حتى اندهش عقلي من النظر الى هذه الاشياء التي هي نادرة الوجود

اخيراً بلغوا فينا الى ديوانخانة مثل ديوانخانة السلطان والمدبّر جالس على كرسيّ عالٍ والجمع مصفوف حواليه على الكراسي . فعند نظره الينا حالاً نهض على الأقدام ومشى نحونا قدر اربع خمس خطوات لاستقبالنا ووضع من رأسه الشبقة (٢ مسلّماً علينا . وانا ايضاً وضعت يدي على صدري ثم كلّمتهُ هكذا قائلاً : « اسعد الله اوقاتكم » . واخذت مكتوب الوزير الاعظم وقدمتهُ لهُ قائلاً : « هذه رسالة صاحب العناية الصدر المحترم ابرهيم باشا » فبسط يدهُ وتناولها . وبعد خطاب قليل بيننا بالمودّة

---

١) انظر وصف مواجهة السفير للملك لويس في آخر المقالة بقلم احد الكتبة الفرنسويين الذين حضروها ٢) الشبقة من التركيّة شابقه القبعة والعثمانيّة اصلها cappa (chapeau)

والمحبة اللائقة ثمَّ بعد ضيافة من مرتبات وحلويات تودّعت منهُ وركبت ومضيت الى محلنا

وفي اليوم الثاني ركبت ومضيت عند الوزير الكبير وكذلك بعد الضيافة وبعد المفاوضة معهُ ودّعتهُ ومشيت. وبعد كم يوم رحتُ عند البكراده الذي كان تعيَّن لمرافقتي وبعد خطاب مستطيل معهُ قال لي: ان حضرة السلطان مزمع ان يخرج الى الصيد فان كنت تريد تذهب معهُ لاجل الفرجة والسير فهذا امر متعلق بارادتك. فعجبني قولهُ هذا كثيرًا فقلت لهُ: ان كان حضرة الملك لهُ رضى ولا بأس ان امضي مع حضرة السلطان اصير قوي ممنون بهذا

خروج السفير مع ملك فرنسة الى الصيد واستعراض العسكر

فلما كان الغد ركبت في العربانة لأمضي معهم لان كل رجال الدولة كانت خرجت خارج المدينة في انتظار حضرة السلطان والستّات الذين هم (اللواتي هنَّ) من اهل السلطان كانوا (كنَّ) ايضاً خارج المدينة هناك . فلمَّا بانت الى عندهم وقفت بينهم فسألموا عليَّ جميعهم وبعد قليل اذا السلطان واصل في العربانة ولما قرب مني رفع شبّتهُ عن راسهِ لاجل سلامي وعمل لي اعزازًا واكراماً واحتراماً جزيلًا وانا كذلك ردَّيت عليهِ السلام وأديت لهُ الاحترام اللائق من غير ان اخرج من عربانتي

وبعد هذا ركب السلطان على ظهر الحصان وسألني ان كان لي خاطر ان اركب واذهب أشرف على مكان الصيد فحالًا ركبت رفقة المريشال دي ويلارو (١ مديره وسرنا معهُ. امَّا الستّات والاشراف من النساء فركبنَ هنَّ ايضاً خيلًا بعد ان خرجنَ من عرباناتهنَّ وهنَّ لابسات لبس رجال وبدأن يجيلن في الميدان فكان ذلك فرجة واي فرجة

---

١) يريد المريشال فرنسوا دي ڤيلّروا (François de Neufville-duc de Villeroy) احد ابطال فرنسة وعظام رجالها وُلد سنة ١٦٤٦ واكسب فرنسة ببعض انتصاراتهِ فخرًا عظيماً وتقدَّم في كل مناصب الدولة في عهد لويس الرابع عشر وخلفهِ لويس الخامس عشر توفي سنة ١٧٣٠ . كان يوم دخول محمَّد سعيد باشا احد اعضاء شورى الدولة ومدبّر لويس الخامس عشر

ثم اننا اخيراً وصلنا الى مكان الصيد فكان اصحاب الطيور واقفين ومعهم كل انواع الجوارح من الطيور مثل بواشق وشواهين وصقورة ونسورة وبازات فكانوا وقتاً يطلقون الشاهين على الأرانب ووقتاً يطلقون النسر في الجو واحياناً الغرنوق واليابقجيل (١ والباشق. وبعد الفرجة على هذا الصيد الملوكي رجعنا صحبة السلطان الى البلد وذهبنا الى محلنا وكان ذلك النهار نهاراً ملوكياً

وبعد هذا بدأ الاكابر يأتون الى عندي افواجاً افواجاً حتى يشوفونا ومنهم من يأتي ليسلم علينا. وكذلك مدبر السلطان جاء الى عندي وبعد مفاوضة الكلام سألني: « هل لك خاطر تتفرج على عسكر السلطان أأ يترتب للحرب وكيف الجنود تتعلم وتتعود على الحرب والقتال وهذا لاجل ان العساكر الآن موجودة هنا وفي الغد يريد السلطان ان يعرضوا عليه فلاجل هذا ممكن ان يصير مثل هذا المفترج ان كان لك خاطر حتى نفرجك ». فعند ذلك اظهرت السرور والرضى بهذا وقلت له: « حقاً اني بغاية الشوق الى النظر الى هذا المفترج » وهكذا تمّ في اليوم الثاني

ففي الصبح ارسل المدبر ثلاثة انفار من اتباعه فمضينا معهم الى ان جزنا بين اشجار وبساتين حتى بلغنا الى موضع مظلّل بخضرة تشبه شكل ولون الزمرّد وهناك كانت موجودة البيارق مفتوحة والزلام مصفوفة على خمسة صفوف وستّة صفوف كل صف شكل وطول الصفوف بهذا المقدار حتى ان النظر بالكاد يقدر ان يمتدّ الى آخرهم وجميع اكابر الدولة مع الستّات الذين هم (الواتي هنّ) من اهل الملك جميعهم حاضرون هناك في العربانات مع كثير من نساء الامراء والشرفاء.

فلمّا انتهينا الى هناك اوقفونا في مكان مناسب للفرجة فبعد هنيهة حضر مدبر المملكة برفقة غلمانه ومعهُ بعض رؤساء العساكر الفرنسويّة وبعض اكابر الدولة. فحالاً ركبت انا على الحصان واستقبلتهُ. واذ كنت اسلّم عليه في تلك الساعة وصل السلطان مع مدبّره فحالاً تقدّمت الى استقباله والستّات ايضاً استقبلوهُ (استقبلنهُ) فبعدها ركبت النساء حالاً ظهور الخيل وهم (وهنّ) بزي الرجال وشعورهم (وشعورهنّ) مرخاة على الاكتاف يحرّكها الهواء وينسفها من هنا الى

---

١) لفظة مصحّفة

هناك. فعندها عزمني مدبّر السلطان الى جانبه وكنا نسير سواء والسلطان قدامنا ونحن خلف وذهبنا هكذا ونحن ننظر الى العسكر حتى بلغنا الى اخر الصفوف

ومن ثمّ رجعنا على اثرنا وحين كنّا في نصف الصفوف رأينا ان حضرة الملك ارتفع فوق تلّة هناك قريبة ودعاني الى عنده فصعدت وجلسنا بجانب بعضنا الواحد مقابل الآخر تجاه العسكر. وفي ذلك الوقت كان الاردي (١ جميعهُ فاضياً والسر عسكر واقفاً قدر ربع ساعة. فعند ذلك لطم السر عسكر حصانهُ الى الوسط وجاء فوقف ما بيننا وبين العسكر. وكان على يمينه في المكان الذي وقف فيه اربعة طبول قريبة اليه وعن يساره ايضاً اربعة طبول فعند ذلك اخرج من جيبه منديلاً وحركه نحو الجوّ خالاً دقّت الطبول شكل دقّة غريبة فتغيّر وقوف العسكر جميعهُ. ومثل ذلك كل مرّة يحرّك منديلهُ شكلاً تدق الطبول غير شكل ويحدث في سائر العسكر تغيّر شكل واحد. ومثل ذلك لما تدق الطبول كان العسكر يتحرّك حركة خفيفة سريعة بالغاية حتى كنت انظر اليهم متعجباً لان حركتهم مع كثرتهم كانها حركة شخص واحد. وعلى كل اشارة كانوا يشوفونها من قائدهم كانوا يفعلون فعلاً فوقتاً يرفعون كلّهم تفنكهم (٢ ووقتاً طبنجاتهم ووقتاً سيوفهم ووقتاً يركعون للارض ووقتاً يلتفتون على يمينهم كأنهم رجل واحد ووقتاً على شمالهم ووقتاً يُعبّون تفنكهم ووقتاً يضربونهُ وانا رأيت منهم ما يعجبني. وقد مكثنا هناك قدر ثلاث ساعات ننظر كل هذه الحركات المختلفة. وبعده ذهبنا الى موضع آخر من حيث رأينا العسكر جميعهُ يدخل مع بيارقهِ وارفاقهِ وعسكره ولم يصدم في مكان من وسع الطريق وسهولته. ثم انني ودعت السلطان ورجعت الى محلي

زيارة السفير للمستشار الملكي

وبعد كم يوم اتى الى عندي الوزير المتوكل على الحرب لكي يزورني فجلسنا نتذاكر معهُ فمن جملة ما قال لي انهُ توجد سراية يقدّم فيها السلطان معاشاً للجنود المجروحين والعاجزين في خدمته فان كان لي خاطر ان امضي اتفرّج فهو يأخذني

---

١) وتُكتب عادةً اوردو او اوردى بالدال ومعناها المعسكر والميدان

٢) التفكة بالتركيّة البندقيّة

اليه . فرفعت بيده وفي الغد ارسل من قبله ناسا اخذوني وهناك اعدّ لنا وليمة فاخرة عظيمة وكانت هناك جوقة من اصحاب آلات الطرب قدر خمسين آلة من كل شكل وصنف حسب عوائدهم التي قطّ ما كنت رأيتها . وكانت هذه الآلات تدق وتلعب طول ما كنّا جالسين على المائدة

وبعد قيامنا من المائدة بدينا نتفرّج على السراية وكان الوزير المذكور سائرًا قدامي الى ان اخذنا الى بيمارستان مرضى العسكر الذي كان في تلك المدينة معيناً لهم ولجماعة السلطان الذين كانوا لمّا يمرض منهم واحد يضعونهُ في هذا البيمارستان ويهتمّون به

وحال دخولي اليه رأيت قدر خمسمائة او ستمائة فرشة فوق التخوت وكلها فرشات مكلفات مثل الفرشات التي توجد في بيوت الاكابر ورأيت قدر خمسين او ستين او اكثر من الخدّام كلهم صفوفاً صفوفاً . ورأيت بعض المرضى راقدين في فرشاتهم والاطبّاء محتفّة حولهم مع الطباخين والفراريج والدجاج والامراق ورأيت اسبيتالاً برسم الادوية شيء عظيم جدًّا وذلك المكان كان شبه روضة من الرياض ولاجل الاعتناء الذي لا يقدر احد من الاكابر على مثلهِ ولا في بيتهِ فتعجّبت غاية العجب من اعتنائهم

وما عدا ذلك الاسبيتال ادخلونا الى مكان آخر وهو برسم الادوية المكلفة فرأيت في ذلك المكان من انواع القناني البلّورية التي هي انواع واشكال مختلفة شيء لا يُعدّ ولا يُحصى وهي مملوة من كل اشكال الادوية المركبة وادخلونا الى اوضة وهي برسم الآلات مثل مناخل وهاونات واجران ومكينات وغير الآت مختصة بالطب والصناعة . ثم اخرجونا الى مكان اخر وذلك المكان مختص بالآت الجراحة وهو شيء يكلّ عن وصفه اللسان من كثرة الآلات . ثم مضينا لنرى المطبخ حيث يُطبخ الطعام للمرضى فرأينا قدر ثلاثة الآف جندي قائمة هناك منهم دائرون ومنهم قائمون على التخوت وهم جميعهم في تلك السراية التي هي متّسعة جدًّا وذات ثلاث طبقات وهي مبنيّة بالحجارة في مكان لائق

وفي جانب تلك السراية بناء كنيسة عالية جدًّا وهي مزيّنة بالذهب الكثير والنقوش والشخوصة الجميلة وقد بُنيت بصناعة عجيبة وتعب زائد وداخلها ارغون

كبير وعظيم جداً كانوا يلعبون فيه لما دخلنا اليها. وبقيّة ما رأيناهُ هناك شيء لا يُكيَّف ولا يُوصف. وبعد ان تفرجنا مضينا من هناك الى محلّنا

السفير الثاني في دعوة المريشال دي فيلّروا وزيارتهُ خزينة الدولة

فبعد ثلاثة ايام ارسل المريشال مدبر السلطان عزمني عندهُ للغداء في سرايته فذهبت الى سراية الملك حيث كان فاستقبلني وعمل لي واجباً عظيماً. وبعد ان مكثنا اخذ يسألني هل لك اشتياق ان ترى السلطان. فادخلني الى الديوانخانة فرأيت حضرة السلطان هناك مثل اوّل مرّة. وكان معهُ كم شاب من الاكابر يسير معهم ويلاعش (١). فلمّا رآنا دخلنا اتى الى نحونا وانا تقدمت اليه فاظهر لي كمال محبة وصداقة ورواد في سائر خطابهِ. وكان يتأمّل كثيرًا في ملبوسنا وكسوتنا وكذلك ارلئك الشباب الذين معهُ كل واحد بمفرده كان يأتي ويتأمل بثيابنا فسألني في ذلك الوقت المريشال قائلًا: «ماذا تقول يا سيدي في حسن سلطاننا وجماله وشرفه». اجبتهُ: «ما شاء الله حفظهُ الله» فقال لي: «ان عمرهُ الآن احدى عشرة سنة واربعة اشهر». وكان يمدح لي شعرهُ الذي هو ليس مستعارًا مثل بقية شعور الافرنج بل هو خلقة من شعر رأسه. وبقوله هذا مسك السلطان والتفتَ الى ناحيتي لكي يُريني شعر رأسه. حينئذٍ انا مسكتُ شعر رأسهِ بيدي وقلت لهُ: «ما شاء الله خرسك الله وحفظك». وكانت اعضاؤهُ جميعها مناسبة ومشيهُ كذلك كان متناسبًا وجميلًا وخطابهُ عذباً جداً

ثم انَّ المريشال قال للسلطان: «يا سيدي امش امامهم لكي يروا مشيك». فمشى السلطان حتى الى نصف الديوانخانة. ومن هناك عاود. ثم امره المريشال ان يجري بسرعة لكي يرينا خفّتهُ. ففعل كذلك وهرول الى نصف الديوانخانة وعاود. ثم سألني المريشال هل عجبني سلطانهم فاجبتهُ بعد التمنّي: بارك الله فيه

ثم بدينا ندور ونتأمل في التصاوير العجيبة التي بتلك الديوانخانة وكان السلطان يمشي معنا وهو كان يُرينا تلك التصاوير وكان يعرّفنا اصحابها واساميها ومن الذين صوروا هذه الصور وكان يقول لنا: «هذه صورة فلان وهذه صورة فلانة».

(١) من الفاظ الحليين اي يتحدّث

وبعد ذلك اخذنا الى مكانه المخصوص بهِ ومنهُ الى مكان آخر ثم الى مكان آخر الى ان انتهينا الى مكان منامة السلطان وارانا فرشته حيث ينام. ومنهُ الى المكان الذي كان يدرس بهِ القراءة تحت يد الخوجه معلمهِ. اخيرًا تودَّعنا منهُ وخرجنا

وحال خروجنا من عنده جلسنا على المائدة مع المريشال وبعد ان تغدَّينا سألني المريشال: «هل لك خاطر ان ترى خزنة جواهر السلطان» اجبتُهُ: «نعم يا سيدي رهذا غاية أربي». فقال لي: «تفضَّل». واخذني بيدي ودخلنا الى اوضة السلطان فرأينا الخزندارية واقفين فعندها امرهم المريشال ان يكشفوا عن خزنة الجواهر ويخرجوها. فكشفوا واخرجوا ما كان من الجواهر فكنا نفحص عن كل واحدة واحدة بمفردها ورأينا شيئاً يدهش العقول ورأيت هناك ثلاثة اثواب الواحد منها مرصَّع باللؤلؤ الرطب الكبار والياقوت المختلف الالوان. والثاني كان مرصَّعاً باللؤلؤ الكبار مع قطع من الالماس الكبار الذي كان موجودًا فيهِ كل لؤلؤة قدر بندقة او اكبر واللؤلؤ ابيض ومستدير ومناسب لبعضهِ وكذلك الالماس كان بغاية الحسن والخلقة. والثوب الثالث كان مرصَّعاً كلهُ بالالماس. ولعمري انهُ امر عسر جدًّا ان نخبر عن قيمة مثل هذه الاشياء. وثمنها او ثمن كل واحدة من هذه الجواهر التي هي بغاية الجودة والحسن والاعتبار. وكشف لنا حبل لؤلؤ سلكاً قدر ستين حبَّة وكل واحدة قدر جوزة الطيب مع حسن الجودة والصفاء. وكانت هذه المسبحة يمسكها السلطان بيده لمَّا يجلس على تخت السلطنة في الديوان ويلبس واحدةً من هذه البدلات حتى يوم دخولي لعنده كانت عليهِ واحدة من هذه البدلات

ورأيت هناك علبةً داخلها حجر ليس لهُ نظير فهو بالكبر قدر جوزة الطيب مدوَّر يلمع مثل البرق مع شعاع عظيم منبعث منهُ نور كالبرق وهو في غاية البياض ولا هو مثقوب وحين يضعونهُ على مرآة لم يزل يتحرَّك ولا يهدأ قط وكانوا يسمونهُ الدرّ السلطاني (١)

ورأيت هناك من الالماس الاصفر واحدة كانت في علبة مثلثة الشكل بنفسجيَّة اللون وهي في غاية الكبر والثمن. ورأيت ايضاً من الياقوت الازرق وهو مربَّع

١) يريد الماسة الشهيرة المعروفة براجان (le régent) التي وصفها الاديب اسكندر افندي طحينة في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٨٧٢)

وطويل قدر الباهم . وايضاً حجر اخر الماس كانوا اشتروه من الانكليز من قريب بستة الاف كيس مربع الوسط وجانبهُ شكل القبَّة وهو في غاية الصفا والحسن ابيض بالغاية وبرّاق ولم يوجد فيه اثر العيب ثقلهُ مائة وثلاثون قيراطاً وكبرهُ قدر الجوزة الروميَّة (١ وكان حضرة السلطان بيده يعزمني ويناولني هذه القطع بيدي لكي ابصرها . ثم ان المريشال سأل السلطان قائلاً : « يا سيدي هذه الجواهر لمن تخص ؟ » فاجابهُ السلطان : « انها تخصني » . فردَّ المريشال قائلاً لهُ : « لا تخصك بل تخص تاجك ومملكتك » انظر هذا الجواب !

وقوف السفير على رسوم المدن والقلاع الوطنيَّة

ثم اني ودعت السلطان والمريشال وخرجنا فقال لي المريشال : اصبر لا تروح الآن عندنا طرائق ان الفرنساوية لهم عادة ان يرسموا رسم البلدان والاقاليم في اوراق وقد رسمنا هنا كل البلدان والاقاليم رسماً خصوصيًّا فرأيتها ورأيت كل المدن التي في حدود مملكتهم قد صوَّروها مع البقع والسهول والجبال والبساتين والاكام والانهر والحارات الخارجة والداخلة خارج الاسوار وداخلها ووزنها وصعودها والذي يتأمل يظن انهُ يعاين تلك الحدود المصورة بعينهـا . وقد اجتهدوا جيداً كثيراً كليًّا حتى انهم حرَّروا وجعلوا تلك الاماكن كلها في الرسم في كيفيتها الحقيقيَّة مع الاسواق والبيوت والكنائس والجسورة . والفـائدة الناتجة من هذه الرسوم والتصاوير هي هذه انهُ اذا عرف قاصدُ حصار واحدة من هذه البلاد والمدن المتطرفة يبصرون من اي مكان يقدر يجيء عليهم واي مكان يجب حفظهُ والاحتراس عليه . والسلطان مع معاينته هذه الرسوم يعود كانهُ حاضر على تلك الاطراف وقد انفقوا نفقات عدة لا تحصى على تكميل هذه الرسوم وضبطها وقال لي : « ان هذه لا يظهرونها لاي واحد كان الا ان كنت تشتهي ان تراها على خاطرك » . فاجبتهم : « ان هذه غاية قصدي »

فعي ذلك الحين امر المريشال الى العسكر المتعين على حفظ المدن المتطرفة في اوقات الحصار ان يُحضرنا الى مكان تلك الرسوم فحالاً ذهب قدَّامنا ونحن نتبعهُ

(١ هذه الماسة موصوفة ايضاً هناك (ص ٨٧٣) وهي المعروفة باسم ماسة سَنْسي

الى ان عبرنا الى ديوانخانة كبيرة طويلة وفيها من تلك الرسوم مائة وخمسة وعشرون رسماً وكل رسم كان موضوعاً على سرير وهكذا كانت تلك الرسوم مضبوطة ومدققة حتى انهُ لا يمكن ان توصف بشفةٍ ولسان لانهُ شيٌ عجيب وغريب وهو من عجائب الدنيا رسم جميع الآكام والجبال والاودية والانهر التي في جوانب القلاع مع الحارات والحقول والاماكن المظللة بالاشجار فهي مرسومة برسمها حتى الاشجار بورقها وزهرها وثمرها مرسومة بحريرٍ والمياه جارية بجانبها كما هي في اماكنها ومن اي مكان يأتيها الماء والى اي مكان يذهب وان كان الماء يحوط بالقلعة او يجري في وسط القلعة او على طرفها. وايضاً مرسوم فيها الجسورة والقناطر وموقع الخنادق وابواب القلاع ووسع الباب والقلعة ووسع الاسواق وضيقها حتى والكوات والشبابيك التي في الدور والبيوت ومحصل الكلام ان هذا الرسم مضبوط بهذا المقدار حتى منهُ يقدر الانسان يطلع على معرفة المدن واخبارها كأنهُ شاهدها بعينهِ. ولم أرَ في فرنسا مثل هذه الفرجة العظيمة لانهُ شيٌ لا يقدر الانسان ان يصفهُ بلسان

وكذلك اظهروا لنا بهذا الرسم جميع القلاع والمدن التي افتتحها السلطان وكل سلاطين فرنسا وقبضوا عليها من ايدي الاعداء. ومصوَّر بتلك الصور من ايّ ناحية قدروا على فتحها ومن ايّ جهة حاصروها وكيف اقاموا متاريسها وبالنتيجة النظر الى هذه الرسوم فقط يسهّل على الناظر معرفة وقوف واحوال كل واحدة من هذه القلاع والمدن المذكورة

وحين كنا بهذه الحالة شاخصين في تلك الرسوم واذا بالسلطان قد حضر الى عندنا وجلس فاخذنا في المخاطبة معهُ. فسألهُ بعض من كان موجوداً: « ياسيدي الملك هل كنت مشتاقاً ان ترى قاصد سلطان الاسلام »؟ فاجابهم: « نعم لاني عالم ان سلطان الاسلام في غاية الشوق اليَّ ». وبعد مفاوضة قليلة مكث قليلاً وذهب. وفي ذلك اليوم عينهِ رأيتُ السلطان ثلاث مرات. وكذلك مكثنا نتبصَّر في تلك الرسوم مقدار ثلاث ساعات وبعدهُ ذهب الملك مع الريشال الى الخارج وتوادَّعنا منهُ وتوجَّهنا الى محلي وقد ذهلني ذلك الرسم

(التتمة لعدد قادم)

(وها نضيف ما كتبه احد مشاهير ذلك الزمان الدوق سان سيمون (Saint-Simon) في مذكراته عن دخول سفيرنا الى باريس لموافقتها لموضوعنا)

Ambassade de Méhémet Effendi a Paris

(Mars 1721)

Extrait des « Mémoires de Saint-Simon » (t. XI p. 382-385, *éd. Hachette*, 1858)

Paris, vit un spectacle peu accoutumé, le dimanche 28 mars, (1721) qui donna beaucoup de jalousie aux premières puissances de l'Europe. Le Grand Seigneur, qui ne leur envoie jamais d'ambassades, sinon si rarement à Vienne, à quelque grande occasion de traité de paix, en résolut une, sans en être sollicité, pour féliciter le roi sur son avénement à la couronne, et fit aussitôt partir Méhémet-Effendi Tefterdar, c'est-à-dire grand trésorier de l'empire, en qualité d'ambassadeur extraordinaire, avec une grande suite, qui s'embarquèrent sur des vaisseaux du roi, qui se trouvèrent fortuitement dans le port de Constantinople. Il débarqua au port de Cette, en Languedoc, parce que la peste était encore en Provence. Il fit même quarantaine et le détour par Bordeaux pour venir à Paris, défrayé de tout depuis son débarquement, où il fut reçu par un gentilhomme ordinaire du roi et ses interprètes de langues, qui l'accompagnèrent jusqu'à Paris. Il y arriva le 8 mars, au faubourg Saint-Antoine, où il demeura huit jours, complimenté de la part du roi, etc., comme les ambassadeurs extraordinaires des monarques de l'Europe.

Le dimanche 16 mars, le maréchal d'Estrées et Rémond, introducteur des ambassadeurs, l'allèrent prendre à une heure après midi. Dès qu'ils furent arrivés, ils montèrent à cheval avec l'ambassadeur entre eux deux. Deux carrosses du maréchal, force valets de pied, pages, gentilshommes, chevaux de main, la police avec trompettes et timbales, trois escadrons d'Orléans-Dragons, douze chevaux de main des écuries du roi, trente-six Turcs à cheval deux à deux, portant des fusils et des lances, Merlin, aide-introducteur, à cheval, puis les principaux officiers de l'ambassade, quatre trompettes de la chambre du roi, six chevaux de main de l'ambassadeur, harnachés à la turque, et tout cela extrêmement magnifique ; enfin l'interprète du roi, précédant immédiatement l'ambassadeur, dont le cheval était harnaché à la turque. Il marchait de front droit avec le maréchal et l'introducteur, environnés de leur livrée et de valets de pied turcs, L'écuyer de l'ambassadeur marchait à cheval derrière lui portant son sabre, et vingt maîtres du Colonel-général les côtoyaient à droite et à gauche ; venaient ensuite les grénadiers à cheval, le régiment Colonel-général, puis

les carrosses du roi et les autres qui vont aux entrées, côtoyés par la connétablie. Le régiment d'infanterie du roi, la compagnie de la Bastille, celle des fusiliers, se trouvèrent en haie jusqu'à la place Royale ; l'ambassadeur fut conduit par de longs détours à la rue Saint-Denis, Saint-Honoré, etc., et partout des pelotons, des escouades du guet. Il trouva la compagnie du prévôt de la monnaie en haie dans cette rue, le guet à cheval sur le pont Neuf bordé du régiment des gardes, et force trompettes et timbales autour de la statue d'Henri IV... Arrivés à l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, rue Tournon, ils mirent pied à terre dans la cour. Le maréchal accompagna l'ambassadeur jusque dans sa chambre, qui aussitôt après, lui donnant la main, le conduisit à son carrosse, et le vit sortir de sa cour. Tous les chevaux que montèrent l'ambassadeur et sa suite étaient des écuries du roi, et les chevaux de main de l'ambassadeur aussi, menés par des Turcs à cheval.

Le vendredi 21 du même mois, le prince de Lambesc et Rémond, introducteur des ambassadeurs, allèrent dans le carrosse du roi prendre l'ambassadeur à l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, où il fut toujours logé et défrayé avec toute sa nombreuse suite, tant qu'il fut à Paris, et aussitôt ils se mirent en marche pour aller à l'audience du roi : la compagnie de la police avec ses timbales et ses trompettes à cheval, le carrosse de l'introducteur, celui du prince de Lambesc, entourés de leur livrée, précédés de six chevaux de main, et de huit gentilshommes à cheval, trois escadrons d'Orléans, douze chevaux de main, menés par des palefreniers du roi à cheval, trente-quatre Turcs à cheval, deux à deux, sans armes, puis Merlin, aide-introducteur, et huit des principaux Turcs à cheval, le fils de l'ambassadeur à cheval, seul, portant sur ses mains la lettre du Grand Seigneur dans une étoffe de soie, six chevaux de main, harnachés à la turque, menés par six Turcs à cheval, quatre trompettes du roi à cheval ; l'ambassadeur entre le prince de Lambesc et l'introducteur, tous trois de front à cheval, environnés de valets de pied turcs et de leurs livrées, côtoyés de vingt maîtres du régiment Colonel-général ; ce même régiment, précédé des grenadiers à cheval, suivait ; puis le carrosse du roi et la connétablie. Les mêmes escouades et compagnies ci-devant nommées à l'entrée se trouvèrent postées dans les rues du passage, dans la rue Dauphine, sur le pont Neuf, dans les rues de la Monnaie et Saint-Honoré, à la place de Vendôme, devant le Palais-Royal, à la porte Saint-Honoré, avec leurs trompettes et timbales ; depuis cette porte en dehors jusqu'à l'esplanade, les détachements des gardes du corps, des gens d'armes, des chevau-légers, et les deux compagnies entières des mousquetaires. Arrivés en cet endroit, les troupes de la marche et les carrosses allèrent se ranger sur le quai, sous la terrasse des Tuileries : l'ambassadeur, avec tout ce qui l'accompagnait et toute sa suite à cheval, entra par le pont tournant dans le jardin des Tuileries.

depuis lequel jusqu'au palais des Tuileries, les régiments des gardes françaises et suisses étaient en haie des deux côtés, les tambours rappelant et les drapeaux déployés. L'ambassadeur et tout ce qui l'accompagnait passa ainsi à cheval le long de la grande allée, entre ces deux haies, jusqu'au pied de la terrasse, où il mit pied à terre, et fut conduit dans un appartement en bas, préparé pour l'y faire reposer en attendant l'heure de l'audience.

A midi, l'ambassadeur, accompagné du prince de Lambese et de l'introducteur, sortit de cet appartement avec tout son cortège, précédé de son fils, qui portait la lettre du Grand Seigneur sur ses mains élevées, et suivait l'aide-introducteur. Il trouva, comme les autres ambassadeurs extraordinaires, le grand maître et le maître des cérémonies au bas de l'escalier, bordé jusqu'au haut par les Cent-Suisses ; il en trouva d'autres en haie dans leur salle, leur drapeau déployé, et Courtenvaux à l'entrée pour le recevoir, qui faisait la charge de leur capitaine pour son neveu enfant. Le duc de Noailles, capitaine des gardes en quartier, le reçut à l'entrée de la salle des gardes, en haie et sous les armes. Il traversa le grand appartement jusqu'à la galerie. Elle était tendue des plus belles tapisseries de la couronne ; les dames fort parées remplissaient les gradins magnifiquement ornés, et la galerie, couverte de beaux tapis de pied, était fort remplie d'hommes. Au fond, elle était traversée de trois marches, et au bout de quelque espace, de deux autres sur lesquelles était le trône du roi ; à ses côtés étaient, à droite et à gauche, M. le duc d'Orléans et les princes du sang, debout et toujours découverts. Le grand chambellan, le premier gentilhomme de la chambre, le grand maître de la garde-robe et le maréchal de Villeroy, étaient tous quatre derrière le roi ; l'archevêque de Cambrai au bas des deux premières marches ; à droite et plus reculés, les trois autres secrétaires d'Etat sur le même plain-pied.

Dès que l'ambassadeur put être aperçu du roi, il s'inclina très-profondément à l'orientale, sa main droite sur sa poitrine. Alors le roi se leva sans se découvrir, et l'ambassadeur s'avança au pied des trois premières marches, où il fit sa seconde révérence. Il monta ensuite ces trois degrés, ayant à sa droite le prince de Lambese et le duc de Noailles ensemble de front, à gauche l'introducteur et l'interprète, derrière lui son fils, portant la lettre du Grand Seigneur en la manière qu'on a dit ; l'ambassadeur fit là sa troisième révérence, prit des mains de son fils la lettre du Grand Seigneur, qu'il éleva sur sa tête, puis la remit à l'archevêque de Cambrai, comme secrétaire d'État des affaires étrangères, lequel la posa sur une table près et à la droite du trône, couverte de brocard d'or. L'ambassadeur fit au roi son compliment de très-bonne grâce, d'un air fort respectueux, mais point timide ni embarrassé. L'interprète l'expliqua. Le roi ne parla point ni M. le duc d'Orléans ; le maréchal de Villeroy fit une courte réponse que l'inter-

prête rendit à l'ambassadeur. Alors il fit sa révérence et se retira à reculons, sans tourner le dos tant qu'il put être vu du roi, fit ses deux autres révérences où il les avait faites en venant, puis s'en alla lentement, regardant fort et d'un air très-assuré tout ce qui s'offrait à sa vue. Le prince de Lambese le conduisit à l'appartement où il était entré d'abord et y prit congé de lui. L'ambassadeur s'y reposa un peu ; puis l'introducteur à côté de lui, à sa gauche, il traversa la terrasse du palais des Tuileries, monta à cheval avec tout ce qui l'accompagnait, trouva dans la grande allée au pont tournant, à l'esplanade, les mêmes troupes dans les mêmes postes et les mêmes honneurs qu'en venant, le régiment du roi d'infanterie en haie jusqu'à la porte de la Conférence, les troupes qui l'avaient accompagné rangées sur le quai des Tuileries, et les carrosses, qui se remirent en marche dans le même ordre qu'en venant. Il passa sur le pont Royal, le quai des Théatins, devant le collège Mazarin, la rue Dauphine, et trouva partout, jusqu'à la porte de l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, les mêmes troupes et détachements, instruments de guerre qu'il avait trouvés allant à l'audience, pendant laquelle elles s'étaient postées sur les lieux de son retour . . . Peu de jours après l'ambassadeur turc fut au Palais-Royal, à l'audience de M. le duc d'Orléans, mais tout simplement, et reçu comme les ambassadeurs extraordinaires, conduit sans troupes et avec peu de cortége par l'introducteur de M. le duc d'Orléans.

تكوين البيضة في الحيوان

للاب اسكندر طوران اليسوعي

ان انتشار الحياة بالولادة سواء تمّ في الحيوانات الراقية ام في الحشرات ام في النبات لمن الامور العجيبة التي لم يدرك الانسان حتى الآن سرّ نواميسها الخفيّة . وانما الخالق قد وضع هو نفسهُ تلك النواميس ليصون بها الانواع المتباينة مدى الدهور وقيّد تلك النواميس بشروط ووسائل ملائمة تختلف على اختلاف درجات الاحياء من نبات او حيوان او انسان

وفي هذا البحث نقصر كلامنا على تكوين البيضة في الحيوان طائرًا كان او زاحفًا او سمكًا او هامّةً من صغار الهوامّ . فلكل هذه الكائنات بيضها الخاص فبيض الطيور يكسوهُ ابدًا غلافٌ كلسي صلب . وللزحّافات بيضها لكنّ غلافهُ